سيدي حرازم
والطريقة السُّهروردية

أحمد الوارث
جامعة شعيب الدكالي- الجديدة

1- الطريقة السهروردية : التأسيس والنحلة

تنسب الطريقة السُّهْرَوَرْدِيَّة[1] إلى الشيخ أبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله عَمُّويه القرشي التميمي البكري السُّهْرَوَرْدِي، الملقب بشهاب الدين[2] المتوفى عام 632هـ/1234م، صاحب الكتاب الشهير : *عوارف المعارف في بيان طريق القوم*.

---

[1] – ممن سماها بهذا الاسم :
– العياشي أبو سالم، *الرحلة العياشية ماء الموائد*، *طبعة مصورة* بالأوفسيط، الرباط، 1977، ج.2، ص.217-219. وقد نقل ما كتبه عنها الشيخ حسن بن علي العجيمي المكي في رسالته المشهورة المشتملة على أربعين طريقا، وكان بعث بها إليه، وقال و" أما السهروردية فمعروفة" (ص219)، بينما عرف بباقي الطرق اختصارا أو تطويلا.
– القادري محمد بن الطيب، *نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني*، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 1986، ج. 3، ص.140. وردد الجملة نفسها المشار إليها "وأما السهروردية فمعروفة"، لدى العياشي في رحلته لأنه نقل معلوماته عنه .
– الحوات سليمان (ت.1231هـ/1816م)، *الروضة المقصودة والحلل الممدودة في مآثر بني سودة*، دراسة وتحقيق عبدالعزيز تيلاني، مطبوعات مؤسسة أحمد بن سودة الثقافية، فاس، 1994، ص. 385. وهو وإن نقل عن *رسالة العجيمي*، فإنه لم يكتف بالجملة المذكورة أعلاه، بل أورد عنها تعريفا هاما جدا رغم قصره.

[2] – نفسه، ص. 385.

ويعتبر شهابُ الدين السهروردي سليلَ بيت صوفي شهير في مدينة سُهْرَوَرْد ببلاد فارس. وكان أول من اشتهر منهم أبو عبد الله محمد بن عَمُّويه، واسمه عبدالله السهروردي البكري القرشي التميمي، أحد كبار أصحاب أبي العباس الدينوري (ت. بعد 340هـ) دفين سمرقند، وكان هذا السهروردي من فضلاء سهرورد وكبار رجالها في العلم والتصوف. أما ثاني رجال هذا البيت شهرة فهو وجيه الدين أبوحفص عمر بن محمد بن عموية السهروردي، ويعتبر إمام وقته في طريق القوم لعلو مقامه بين أقرانه. وكان أخذ علوم الطريق عن والده، أما الذي ورثها عنه، ومعها مقامه، فهو ابن أخيه ضياء الدين أبو النجيب عبدالقاهر بن عبدالله بن محمد

- ولد شهاب الدين أبو حفص عمر السهروردي بسُهْرَوَرْد في مقاطعة الجبل بجنوب زنجان في الطريق إلى همذان ببلاد فارس أواخر رجب، أو أوائل شعبان سنة 539هـ، ودرس في البصرة وبغداد، وحصل طرفا صالحا من الفقه والأدب، وصار أديبا ذا فصاحة ومعرفة، وفقيها معروفا في الشافعية، بل عالما مبرزا. وشيخا صوفيا كبيرا، بل شيخ الشيوخ ببغداد، وقيل لم يكن آخر عمره في عصره مثله، واشتهر كثيرا في الوعظ. وأوفده خليفة زمانه رسولا إلى عدة جهات. وتذكر له كتب عدة، منها : *عوارف المعارف في بيان طريق القوم؛ و عقيدة أرباب التقى*؛ وبهجة الأبرار في مناقب الغوث الكيلاني؛ وبغية البيان في تفسير القرآن؛ وجنب *القلوب إلى مواصلة المحبوب؛ والسير والطير*؛ وله شعر "حسن" في كناش؛ وله "*مشيخة*" له عليها سماع؛ و"*رشف النصائح الإيمانية وكشف الفضائح اليونانية*". وكانت وفاته في مستهل المحرم سنة 632هـ/1234م ببغداد، ودفن بالوردية. راجع ترجمته عند :
- ابن خلكان شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس*، دار صادر، بيروت، 1970، مجلد 3، ص ص.446-44، رقم 496.
- الحموي ياقوت، معجم *البلدان*، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1984، المجلد الثالث، مادة سهرورد.
- الزركلي خير الدين، *الإعلام*، دار العلم للملايين، بيروت، 1986، مجلد5، ص. 62.
- كحالة عمر رضا، معجم *المؤلفين*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج.7، ص. 313.
- النبهاني يوسف بن إسماعيل، *جامع كرامات الأولياء*، تحقيق ومراجعة إبراهيم عطوة عوض، المكتبة الشعبية، بيروت، 1983، ج.2، ص. 413-414.
- ابن الشريف محمود وعبد الحليم محمود، *مقدمة تحقيق عوارف المعارف*، مطبعة السعادة، ج.1، ص. 4-12.

بن عموية السهروردي المتوفى في بغداد عام 563هـ/1168م، وكان ينعت بشيخ الشيوخ.[3] وعلى يده سلك ابن أخيه شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله، صاحب *عوارف المعارف*، الذي تنسب إليه الطريقة السهروردية، والمتوفى في بغداد سنة 632هـ/1234م.

وهذا يعني أن السهروردية ظهرت ونمت في بلاد فارس، قبل أن تنتشر في العراق والشام، وأن ظهورها ونموها حدث في فترة متقدمة من تاريخ التصوف الإسلامي. بل تصنف السهروردية ضمن التيارات الصوفية التي ساهمت في تأسيس قواعد علم التصوف الإسلامي.[4]

وتتجلى هذه المساهمة في علم الطريق والتربية الصوفية، فيما خلفه – منذ القرن الرابع الهجري – الأب الروحي للسهروردية، محمد بن عموية، وابنه وجيه الدين أبو حفص من آثار[5]، وذلك قبل أن تتبلور هذه الآثار بوضوح في تآليف ضياء الدين أبي النجيب عبد القاهر السهرورد[6] وابن أخيه شهاب الدين أبي حفص عمر السهروردي صاحب *عوارف المعارف*.

---

[3] – راجع تراجمهم عند :
– الساحلي محمد، *بغية السالك في أشرف المسالك*، تحقيق عبد الرحيم العلمي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 2003، ص. 555- 556.

[4] – راجع مثلا : الحوات سليمان، *الروضة المقصودة* ... مصدر سابق، ص.236-238.

[5] – راجع: الساحلي محمد، *بغية السالك* ... مصدر سابق، ص. 555- 556.

[6] – تُذكَرُ له مؤلفات، يعرف منها : *آداب المريدين* (حققه محمد فهيم شلتوت، نشر دار الوطن العربي، القاهرة)، وشرح *الأسماء الحسنى*، ومختصر *مشكاة المصابيح للبغوي*، ومصنف *في طبقات الشافعية*. راجع ترجمة وافية له، عند :
– ابن خلكان أحمد، *وفيات الأعيان وأنباء الزمان*، تحقيق إحسان عباس، المجلد الثالث، دار الثقافة، بيروت، م.3، ص. 204.
– الحموي ياقوت، معجم ... مصدر سابق، المجلد 3، مادة سهرورد.
– الزركلي خير الدين، *الإعلام*، دار العلم للملايين، بيروت، 1986، مجلد 4، ص. 49.
– كحالة محمد رضا، معجم *المؤلفين*، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، لبنان، ج.5، ص. 311.

وتكمن أهمية هذه الآثار في كونها ساهمت إسهاما مهما في تدوين علوم التصوف الإسلامي، وتقعيد مقامات السلوك في طريق القوم، تمشيا مع التميز الذي بلغه الصوفية في سلوكهم وأذواقهم وأحوالهم، زمن أولئك الأئمة، مقارنة مع سلف الأمة من الصحابة، من جهة، ومقارنة مع من عايشهم من العباد، من جهة أخرى، وتمشيا، كذلك، مع التميز الذي بلغته لغة التصوف في زمانهم، حتى صار مبنى الطريقة قائما بسبب ذلك، على آداب مخصوصة واصطلاحات معلومة، لا تدور إلا بينهم، ولا يفهمها إلا الراسخون في طريقهم، أو الشاربون من كؤوسهم.[7]

وقد اعتبرنا آثار السهرورديين في التصوف مساهمة على اعتبار أنهم شاركوا بها مع غيرهم من علماء التصوف، في تدوين علوم الطريق وتبيين مسالكها ومقاماتها وأحوال رجالها، على غرار ما فعله في أيامهم المشتغلون في حقول الفقه وأصوله، والكلام ومذاهبه، والتفسير وما إلى ذلك. فقد كتب أبو عبد الله الحارث المحاسبي (ت. 243هـ/857م) في أحكام الورع ومحاسبة النفس على الاقتدار في الأخذ والترك، رسالته الشهيرة : *الرعاية لحقوق الله والقيام بها*. وكتب

– ابن العماد عبدالحي الحنبلي، *شذرات الذهب في أخبار خير نسب*، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ج.3، ص. 208 – 209.

– فهيم محمد شلتوت، *مقدمة تحقيق آداب المريدين لأبي النجيب السهروردي*، نشر دار الوطن العربي، القاهرة، ص. 7- 11.

[7] – كان أصل طريقة القوم، عند سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم قائما على العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن الدنيا وزينتها. وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف من بعدهم، فلما فشى الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة، ثم اختصوا بمواجد وأذواق وأحوال ناشئة عن المجاهدة في العبادة، حتى صار مبنى طريقتهم، بسببها، على محاسبة النفس على الأفعال والتروك، والكلام في هذه الأذواق والمواجد التي تحصل عن المجاهدات، ثم تستقر للمريد مقاما، ويترقى منها إلى غيرها. ثم لهم مع ذلك آداب مخصوصة واصطلاحات في ألفاظ تدور بينهم. فلما كتبت العلوم وألف الفقهاء في الفقه وأصوله والكلام والتفسير وغير ذلك، كتب رجال من هذه الطريقة في طريقهم (*الروضة المقصودة* ... مصدر سابق، ص. 236- 238).

أبو القاسم القشيري (ت.465هـ/ 1072م) في آداب الطريقة، وأذواق أهلها، ومواجدهم في الأحوال، رسالته المعروفة باسمه : *رسالة القشيري*. وكتب ضياء الدين أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله السهروردي (ت. 563هـ/1168م) في الموضوع نفسه كتابه الموسوم *بآداب المريدين*، كما كتب ابن أخيه وتلميذه شهاب الدين أبوحفص عمر السهروردي (ت 632هـ/1234م) في الموضوع نفسه كتابه : *عوارف المعارف في بيان طريق القوم*، وجمع بين الأمرين جماعة كأبي طالب المكي (ت.386هـ/996م) في كتابه *قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد*، وكالغزالي (ت.505هـ/1111م) في كتابه *إحياء علوم الدين*.

وهذا يعني أن مدرسة سهرورد في التصوف كانت من المدارس الصوفية التي أسهمت في وضع القواعد الأولى لعلوم التصوف الإسلامي، وأن هذه القواعد استطاعت أن تبني طريقة صوفية، سرعان ما تجاوز إشعاعها حدود سهرورد وبلاد فارس نفسها لتنتشر في البلاد المجاورة.

ويفهم من تلك القواعد نفسها أن الطريقة السهروردية تأتي أيضا في مقدمة التيارات الصوفية العالمة. دون أن يعني هذا أن شيوخها، وفي مقدمتهم شهاب الدين أبو حفص السهروردي المشهور بالواعظ، كانوا من أهل النظر فحسب، لأنهم ساهموا كذلك في وضع خطط عملية مواكبة لآرائهم النظرية في التصوف، مما جعل السهروردية تجمع بين العلم والعمل، وبين النظر والسلوك، وجعلها، من ثم، طريقة صوفية متميزة في بعض دقائقها عن غيرها من التيارات الصوفية المعاصرة لها مثل الغزالية، والقشيرية، وطريقة أبي طالب المكي، وغيرها.

وقد خول لشهاب الدين أبي حفص عمر السهروردي وشيوخه (عمه ضياء الدين أبي النجيب عبدالقاهر السهروردي، وعم عمه وجيه الدين أبي حفص السهروردي) في مدرسة سهرورد الإدلاء بالرأي في علوم التصوف اطلاعُهم الواسع ومعرفتهم الدقيقة بالعلوم الشرعية الإسلامية وما ارتبط بها من علوم وآداب.

كما كان لمخالطتهم زهاد بلاد فارس والصوفية في العراق والشام أثرها الرئيسي في صياغة مبنى الطريقة السهروردية من الناحية العملية.

ولأجل ذلك، كان التفقه في الدين، وتعلم ما لا يسع جهله من أحكام الشريعة، من الشروط الواجبة للانخراط في الطائفة السهروردية، كيما يكون العمل موافقا للعلم، استنادا إلى قولهم :" *إذا تجرد العلم عن العمل كان عقيما، وإذا خلا العمل من العلم كان سقيما* ".[8]

أما الجانب العملي في السهروردية فقد لخصه أبو الربيع سليمان الحوات في قوله : إن "*مبنى السهروردية على الاشتغال في الخلوة بذكر الاسم [الأعظم] باللسان على كيفية مخصوصة مع مواطأة القلب. ومن شأنهم الجهر بالذكر في مجالس الصحبة، والاشتغال بالأذكار التي ذكرها السهروردي في **عوارفه وأوراده**. ومن شأنهم لبس الزي، وهي المرقعة*".[9]

وبناء عليه، فإن السهروردية طريقة تربوية، إلى جانب كونها تيارا علميا. وقد أولى أهلها للعبادة وللمجاهدة في التربية عناية كبرى[10]، وللخرقة والخلوة والذكر فيها أهمية خاصة.[11]

---

[8] – لقد خصص ضياء الدين أبو النجيب عبد القاهر السهروردي عدة فصول في كتابه *آداب المريدين* للحديث عن فضل العلم، مستشهدا فيها بكلام الله، وأحاديث رسوله، وحِكَم الحكماء، وبكثير من الآراء النقلية والعقلية، معتبرا العلم من ضروريات آداب المريد (ص.32-48،34-49). كما اهتم شهاب الدين أبو حفص عمر السهروردي بالعلوم أيضا وخصص لها حيزا مهما في : *عوارف المعارف* (راجع مثلا، ج.1، الفصل الثالث، ص. 170-191).

[9] - *الروضة المقصودة* ... مصدر سابق، ص. 385.

[10] – مما يذكر عن أبي النجيب السهروردي أنه لما دخل عالم التصوف انعزل عن الناس مدة مديدة خلص فيها لعبادة ربه، وذلك قبل أن يعود إلى الاختلاط بالناس (راجع الهامش، رقم 5). وقد ورث عنه تلميذه وخليفته شهاب الدين أبو حفص السهروردي، هذا السلوك . وهكذا كتب عنه ابن خلكان بأنه كان "*... كثير الاجتهاد في العبادة والرياضة، وتخرج عليه خلق كثير من الصوفية في المجاهدة والخلوة*" (*وفيات الأعيان* ... ص. 446). كما يؤثر عن شهاب الدين أبي حفص في مجال العبادات أيضا، أنه كان كثير الحج، وربما جاور في بعض حججه (مقدمة تحقيق *عوارف المعارف* ... مصدر سابق، ص. 8).

[11] – راجع عن أهمية الخرقة فيها: الحوات سليمان، *الروضة المقصودة*... مصدر سابق، ص. 646-647.

وهكذا، استند السهرورديون إلى الخرقة في تحصيل الانتساب، وتأكيد الارتباط بالسلف.[12] وتبعا لذلك ظلت الطريقة السهروردية تصنف ضمن طرق الخرق في التصوف.[13] ولا يعني هذا أن السهرورديين لم يولوا أية أهمية لسلسلة التلقين والتربية، بل اهتموا بها كثيرا أيضا. ولذلك فهم يذكرون أن شيخهم شهاب الدين أبا حفص صحب عمه ضياء الدين أبا النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عموية السهروردي (ت. 563هـ/1168م)، وعلى يده سلك وبه ترقى[14] كما يذكرون أن ضياء الدين أبا النجيب صحب عمه وجيه الدين أبا حفص عمر السهروردي، وصحب وجيه الدين والده محمد بن عموية، وصحب محمد والده عموية وشيخه أبا العباس الدينوري. فأما الشيخ عموية فسنده ينتهي إلى أبي بكر الصديق، وغيره من الصحابة، وأما أبو العباس الدينوري فصحب محمد الجريري وهو عن جملة من الشيوخ منهم الجنيد، وهو عمدته وإليه ينتسب.[15]

---

[12] – فعلى سبيل المثال، اعتمد السهروردي في حديثه عن الخرقة على النقل، كما في قوله *:" إن وجه لبس الخرقة من السنة حديث أم خالد قالت : أتى النبي صلى الله عليه وسلم بثياب فيها خميصة سوداء، فقال : من ترون أكسو هذه ؟ فسكت القوم، فقال عليه السلام : ايتوني بأم خالد، فأتى بها فألبسها بيده، وقال : أبلي وأخلقي . قال ولا خفاء أن لبس الخرقة على الهيئة التي يعتمد الشيوخ في هذا الزمان لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذه الهيئة والاجتماع لها والاعتداد لها من استحسان الشيوخ وأصله من الحديث ما رويناه" (الروضة المقصودة، ص. 644).*

[13] – الحوات سليمان، *الروضة المقصودة ...* مصدر سابق، ص. 646-647.

[14] – الساحلي محمد، *بغية السالك...* مصدر سابق، ص. 555.

كما أخذ صاحب *عوارف المعارف* عن أبي محمد عبد القادر ابن أبي صالح الجيلي. ابن خلكان أحمد ،*وفيات الأعيان...* مصدر سابق ، ص 446- 448. وراجع :

الحوات سليمان، *الروضة المقصودة ...* مصدر سابق، ص. 657- 677.

كما أورد القادري في ذكره سند شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد بن عموية، ما يفيد أن جده، يعني والد عمه ضياء الدين أبي النجيب عبد القاهر، كان من شيوخ هذا الأخير في طريق القوم كذلك. راجع :

– القادري محمد بن الطيب، *الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج*، تحقيق مارية دادي، رسالة دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، مرقونة، كلية الآداب بالرباط، 90-1991، ص. 465.

[15] – راجع سلسلة هذا السند عند :

– الساحلي محمد، *بغية السالك...* مصدر سابق، ص 519- 520.

– ابن عيشون الشراط، *الروض العطر بأخبار الصالحين من أهل فاس*، دراسة وتحقيق زهراء النظام، منشورات، كلية الآداب – الرباط، 1997، ص 69-70. وراجع أيضا :

– الحوات سليمان، *الروضة المقصودة...* مصدر سابق، ص. 657-658.

إنما الأكيد أن السهروردیین كانوا یولون سلسلة الخرقة أهمیة كبرى، باعتبارها كانت دائما إعلانا عن دخول المرید في طائفتهم. وكان شیخ الطریقة شهاب الدین أبو حفص عمر بن محمد السهروردي لبس الخرقة السهروردیة من عمه ضیاء الدین أبي النجیب عبد القاهر بن عبد الله عن عمر البكري عن محیي الدین القاضي عن محمد البكري عن أحمد الدینوري بسنده إلى الجنید نفسه، وذلك على غرار سنده في التلقین.[16]

وعلى غرار الاهتمام بالسند وخصوصا بالخرقة فیه، حظیت المجاهدة بمقام رفیع في التربیة الصوفیة لدى السهروردیین، وحظیت الخلوة في المجاهدة برفعة أكبر. والحال، فقد *"... تخرج على (شهاب الدین أبي حفص السهروردي) كثیر من الصوفیة في المجاهدة والخلوة"*.[17] وإلى جانب ذلك، احتل الذكر المكانة نفسها من الناحیة العملیة، وكان مبناه، عند السهروردیین، فردیا وجماعیا ؛ الأول في الخلوة والثاني في الرباطات، وهو مبني على الجهر في كلتا الحالتین. وقد حدد شهاب الدین أبو حفص السهروردي لأتباعه تلك الأذكار في *عوارف المعارف*، لكنه ألح على "المسبعات العشر"، وقال : *"یُنال بالمداومة علیها جمیعُ المتفرق في الأذكار والدعوات الأخرى"*.[18] وكذلك كان للوعظ حضور قوي في مجالسه.[19]

وهذا كله، یفید في القول باعتماد أسالیب المجاهدة الظاهریة في التربیة الصوفیة لدى السهروردیین، كما یسمح لنا بتصنیف السهروردیة ضمن طرق أهل الظاهر في التصوف، تمییزا لها عن طرق أهل الباطن.

[16] – الحوات سلیمان، *الروضة المقصودة...* مصدر سابق، ص. 657-685-677.
[17] – ابن خلكان أحمد، *وفیات الأعیان...* مصدر سابق، ص. 446 .
[18] – الحوات سلیمان، *الروضة المقصودة...* مصدر سابق، ص. 650.
[19] – على نحو قول ابن خلكان في حدیثه عن شهاب الدین أبي حفص السهروردي بأنه عقد *"مجلس الوعظ سنین، وكان شیخ الشیوخ ببغداد [...] وعلى وعظه قبول كثیر وله نفس مبارك"* (*وفیات الأعیان...* ص. 446).

2 - انتقال السهروردية إلى المغرب :

يبدو أن التصوف السهروردي قد استهوى بعض المغاربة الذين زاروا بلاد المشرق. ويُذكر في رأس القائمة الشيخ الشهير أبو محمد صالح بن محمد ابن عبد الله بن حرزهم الفاسي، المعروف على لسان العامة باسم سيدي حرازم، دفين خارج باب فتوح بفاس[20]، خارج روضة ابن أخيه سيدي علي بن حرزهم.[21] بل لا يكاد يُذْكر غيره، حتى ليخال المرء أنه الشخصية المغربية الوحيدة التي نجحت في نقل السهروردية إلى المغرب، ونشرها في بلاده.

---

[20] - راجع ترجمته عند :

ابن الزيات يوسف التادلي، *التشوف إلى رجال التصوف*، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1984، رقم 8، ص. 94-95.

- الساحلي محمد، *بغية السالك*... مصدر سابق، ص. 553-554.

- ابن القاضي أحمد المكناسي، جذوة *الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس*، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ص. 358-359.

- ابن عيشون الشراط، *الروض العطر الأنفاس*... مصدر سابق، ص. 56-58.

- الكتاني محمد بن جعفر، *سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس*، طبعة حجرية بفاس، 1318هـ/1900م، ج.3، ص.69.

وكتب الساحلي، على هامش ذكره لاسم حرزهم : *"... رأيت بخط بعض أهل العناية بالضبط والتصحيح ابن حُرَازِمْ، والأول (يعني حرزهم) عندي أصوب"* (بغية الساحل، ص.551). وذكر محمد بن جعفر الكتاني، من جهته، في *سلوة الأنفاس*، وجوه نطق حرزهم باختلاف الرواة، وهي : حِرْزْهِم، وحِرْازِمْ، وحَرَزَهم. وقال إن هذه الصيغة الأخيرة جاءت في نسخة عتيقة من التشوف. ونقل محقق التشوف هذه الأخبار كلها، ثم علق قائلا : *"وفي نظرنا أن هذا النطق أقرب إلى ما يمكن أن يكون أصل الكلمة، وهو : إِحْرَا إِزْمْ. وإِحْرَ، في لسان الأمازيغ : ساق. وإِزْمْ هو الأسد، إشارة إلى أن الكرامة الشهيرة عن الصلحاء، ومنهم ابن حرزهم هي مؤالفة الأسد، حتى إن الكرامات في لسان البربر يطلق عليها إِزْماوُون، وهي الأسود. ولا تدخل هذه الصيغة في ما ذهب إليه جورج كولان في الهامش 385 على الترجمة الفرنسية لكتاب المقصد للبادسي حيث ظن أنها من قبيل سِيدْهُم ولالاّهم. فتلك تقابلها في الأمازيغية الصيغ التي في أواخرها نون، مثل : يدراسن وكليداسن الخ"* (أحمد التوفيق، هامش 36 ص. 94، من *التشوف*).

[21] - الساحلي محمد، *بغية السالك*... مصدر سابق، ص. 553.

- ابن عيشون الشراط، *الروض العطر*... مصدر سابق، ص. 56.

- ولا علاقة لأي منهما بالحمة المشهورة بماء سيدي حرازم.

وهكذا، فمدار الأحاديث عن أبي محمد صالح بن حرزهم أنه رحل إلى المشرق، وحج، ثم انقطع بالشام أعواما، واجتمع بالإمام أبي حامد الغزالي.[22] وروى بعضهم عن لقائه بالإمام الغزالي رواية مفيدة نصها :

"... أن ابن حرزهم، لما زار بيت المقدس، انقطع في بعض القرى القريبة من بيت المقدس فقدمه أهل تلك القرية للإمامة بهم في مسجد القرية، فبينما هو في بعض الأيام في المسجد إذ أقبل الإمام أبو حامد الغزالي في جماعة من تلامذته، فنزلوا في المسجد، وكان في المسجد دالية وفيها حصرم. فقال التلامذة للإمام أبي حامد الغزالي رضي الله عنه : اشتهينا حصرمة. فقال لهم الشيخ : اسألوا إمام المسجد ، يعني أبا محمد صالح [ابن حرزهم]، عن الدالية، هل هي حبس على المسجد ؟ أو على الإمام ؟ أو على المؤذن ؟ أو غير ذلك ؟ فسئل فقال لهم : لي كذا وكذا عاما في المسجد إماما لا أعلم على من حبست، ولا اشتغلت بها ولا نأكل شيئا منها، فأخبروا بمقالته الإمام أبا حامد الغزالي رضي الله عنه، فقال : هذا مغربي له أعوام في هذا المسجد لم يتعرض لهذه الدالية ولا يعرف خبرها، وأنتم من ساعة واحدة لم تملكوا أنفسكم ".[23]

وهذا يعني أن أبا محمد صالح ابن حرزهم كان معاصرا للغزالي، وأنه لقيه بعد أن قضى في الشام مدة طويلة، وأنه كان لمَّا لقيه قد تأهل للمشيخة. ويؤكد هذه الخلاصات ما رواه الساحلي (ت.754هـ/54-1353م) من أخبار عن هذا الرجل في *بغية السالك* حيث قال : "*كانت له رحلة إلى المشرق، وانقطع بالشام، وكان*

[22] - ابن الزيات التادلي، *التشوف...* مصدر سابق، ص. 94. وراجع نفس الرواية عند :
- الساحلي محمد، *بغية السالك...* مصدر سابق، ص. 554.
- ابن القاضي أحمد، *جذوة الاقتباس...* مصدر سابق، ص. 358.

[23] - ابن عيشون الشراط، *الروض العطر ...* مصدر سابق، ص. 56-57.
وراجع نفس الرواية في *التشوف*، ص. 94-95. وفي *جذوة الاقتباس*، ص 358-359.
كما رواها ابن قنفذ في أنس الفقير، لكنه نسبها خطأ إلى ابن أخيه أبي الحسن ابن حرزهم. راجع :
- ابن قنفذ أحمد الخطيب القسنطيني، *أنس الفقير وعز الحقير*، تحقيق أدولف فور ومحمد الفاسي، نشر المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965، ص. 13. وكان محققا هذا الكتاب الأخير نبها إلى الخلط الذي وقع فيه صاحبه ابن قنفذ.

معاصرا لأبي حامد الغزالي رضي الله عنه. وبالمشرق لقي شيخه وجيه الدين [أبا حفص عمر بن محمد بن عموية السهروردي]، فأخذ عنه وسلك على يده، فنفذ وقطع المقامات. ولما زار بيت المقدس عدل إلى قرية على قرب من بيت المقدس، فالتزم الإمامة بأهلها، وبها لقي أبا حامد الغزالي".[24]

وفي كلام الساحلي إشارة مفيدة إلى الشيخ الذي صحبه أبو محمد صالح ابن حرزهم، وأخذ عنه طريق القوم، وهو وجيه الدين أبو حفص عمر بن محمد بن عموية السهروردي. لكن الساحلي علق على هذه العلاقة قائلا : "*وقع عندي بعض إشكال في أخذه عن وجيه الدين أو عن ابن أخيه*[25] *ضياء الدين أبي النجيب عبد القاهر، والأحرى عندي أنه إنما أخذ عن وجيه الدين، لقرائن قامت عندي مقام التحقيق، لكني أبرأ من عهدته وبالله التوفيق*".[26]

وعاد الساحلي مرة أخرى في *بغية السالك* وأكد أن وجيه الدين أبا حفص عمر السهروردي هو شيخ أبي محمد صالح بن حرزهم، بل قال ما يفيد أنه أكبر أصحابه. ونص قوله : "*...كان الشيخ وجيه الدين إماما في طريق القوم قدوة ربانيا، أخذ عنه ناس من أهل الشام وغيرها، وانتشر أصحابه في الآفاق، أرسخهم قدما في*

---

[24] - الساحلي، *بغية السالك*، ص. 553؛ وراجع : ابن عيشون الشراط، *الروض العطر ...* مصدر سابق، ص. 58.

[25] - نسجل هاهنا تعليقا على كلمتي : (ابن أخيه) لنشير إلى أن محقق *الروض العطر* لابن عيشون الشراط اعتقد خطأ أن الساحلي اختلط عليه الأمر عندما جعل وجيه الدين أباحفص عمّا لضياء الدين أبي النجيب عبد القاهر، ورأى أن العكس هو الصحيح. (راجع إشارة محقق *الروض العطر*، في هذا الشأن، هامش 56، ص. 58). لكن الظاهر أن ما أورده ابن عيشون نقلا عن *بغية السالك* للساحلي هو الصواب. ولعل المحقق وَهِمَ أن أبا حفص المقصود هو صاحب *عوارف المعارف*، لكن المقصود هو أبو حفص وجيه الدين عمُّ ضياء الدين أبي النجيب عبد القاهر، أي عمٌّ عمِّ أبي حفص عمر المدعو شهاب الدين صاحب *عوارف المعارف*. فهما يحملان معا اسم أبي حفص عمر، لكن الأكبر يدعى وجيه الدين والأصغر، صاحب العوارف، يدعى شهاب الدين. لذا وجب التنبيه.

[26] - الساحلي، *بغية السالك*، ص. 555.

طريقه الشيخ أبو محمد صالح ابن حرزهم، وابن أخيه ضياء الدين عبد القاهر أبو النجيب".[27]

وهذا يعني أن أبا محمد صالح بن حرزهم أخذ بأهداب الطريقة السهروردية، بل كان من رجالها الكبار، ومن أقران ضياء الدين أبي النجيب عبد القاهر السهروردي في صحبة شيخهما وجيه الدين، كما لا يبعد أن يكون أخذ عن ضياء الدين أبي النجيب عبد القاهر نفسه، مما يجعله رفيقا لشهاب الدين صاحب *عوارف المعارف* كذلك.[28] كما يفهم من سيرته أنه كان مثلهم جميعا رجل علم[29]، وعبادة وصلاح، وأنه كان ينحو طريق الورع والزهد والتجرد[30]، وأنه عاد إلى فاس، "*... فنشر بها طريقه*"[31]، وظل متصدرا فيها للمشيخة، حتى توفي أواسط القرن 6هـ/12م[32]، بعد أن "*... هدى الله به خلقا كثيرا*".[33]

ويعني ذلك أيضا أن السهروردية كان لها في المغرب، زمان أبي محمد صالح ابن حرزهم الموافق للقرن 6هـ انتشار بين الخلق، لا يقل كثيرا عن انتشار

---

27 - نفسه، ص. 555- 556.

28 – ذكر محمد بن جعفر الكتاني في تعليقه على كلام الساحلي : بأن أخْذ أبي محمد صالح ابن حرزهم عن وجيه الدين بعيد، مستشهدا على ذلك بأن ابن حرزهم لقي الغزالي قبل وفاة هذا الأخير سنة 505هـ، ولا أقل من أن يكون عُمر صاحب الترجمة إذ ذاك تقريبا عشرين سنة. ووجيه الدين ولد 539هـ، وعُمر صاحب الترجمة إذ ذاك تقريبا ستون سنة، ولا يمكنه الأخذ عن وجيه الدين إلا بعد بلوغه سن التكليف التي هي تقريبا عشرون سنة، فإذن يكون صاحب الترجمة قد أخذ عنه، وهو ابن ثمانين سنة، وهذا بعيد جدا. كما استبعد الكتاني أيضا أن يكون أبو محمد صالح بن حرزهم قد أخذ عن ضياء الدين، لأن ضياء الدين لمَّا يبلغ آنذاك عشرين سنة، ويحتمل أن يكون أخذ عنه فيما بعد (*سلوة الأنفاس* ...،ج.3، ص. 70). وبناء على هذه التقديرات لا يبعد أن يكون أبو محمد صالح بن حرزهم لقي وجيه الدين وابن أخيه ضياء الدين معا.

29 – الساحلي، *بغية السالك*... مصدر سابق، ص. 553.

30 - نفسه.

31 - نفسه، ص. 554.

32 - قدر محمد بن جعفر الكتاني في *سلوة الأنفاس*، وفاته في هذا التاريخ. (ج.3، ص.77).

33 - الساحلي، *بغية السالك*... مصدر سابق، ص. 554.

الغزالية مثلا، وأن اطلاع المغاربة على *عوارف المعارف* لم يتأخر أبدا . "... [و] *كان ممن نجب في طريقه على يديه، أبو الحسن علي بن أخيه إسماعيل...*" ابن حرزهم.[34] بل يعد هذا الرجل أكثر السهرورديين شهرة في المغرب على الإطلاق. وبلغت شهرته حدا جعل المهتمين بالطرق الصوفية المغربية ينسبون السهروردية إليه، وليس إلى عمه، كما فعل سليمان الحوات، في تعداده للطرق الصوفية، نقلا عن صاحب *المنح البادية*، حيث ذكر : طريقة الإمام أبي الحسن على بن حرزهم الأموي الفاسي، وقال إنها ترجع إلى السهروردية[35]، مما يعني أن مبنى هذه الطريقة اكتمل واشتهر على يد أبي الحسن ابن حرزهم، على غرار ما حدث في المشرق تماما، حيث إن السهروردية تنسب إلى شهاب الدين أبي حفص عمر السهروردي، وليس إلى عمه أبي النجيب، رغم أن فضل هذا العم عليه كان عميما، وذلك لأن مبنى هذه الطريقة إنما اكتمل على يد أبي حفص عمر السهروردي، وبفضله اشتهرت في الآفاق.

3 – سهروردي المغرب : أبو الحسن سيدي حرازم :

ذكر ابن قنفذ (ت.810هـ/1407م) أن بعضهم ألف تأليفا حسنا في التعريف بأبي الحسن علي بن حرزهم وذكر فضائله وعلمه وكراماته.[36] وإذ يعد هذا الكتاب من المفقودات، فإن ما تفرق من تراجم هذا الرجل في كتب المناقب العامة يسمح بالقول بأن أبا الحسن علي بن إسماعيل بن محمد بن حرزهم عربي الأصل، من

---

34 - نفسه.

35 - الحوات سليمان، *الروضة المقصودة ...* مصدر سابق، ص.397.

36 -*أنس الفقير ...* مصدر سابق، ص. 20. وراجع أيضا :

– ابن إبراهيم العباس المراكشي التعارجي، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1980، ج.9، ص. 54.

نسل الصحابي الجليل سيدنا عثمان بن عفان[37] وأنه ولد و نشأ بفاس، مثل عمه أبي محمد صالح بن محمد بن حرزهم، طبعا، وبها عاش[38]، إلى أن توفي في أواخر شعبان 559هـ/1164م[39]، ودفن خارج باب فتوح من أبواب فاس[40] في البلاد الموقوفة على دفن الغرباء.[41]

[37] - واسم شهرته هو سيدي حرازم أو حرزهم، نسبة إلى جده. وذكر ابن أبي زرع الفاسي سلسلة نسبه كالتالي : "*علي بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم بن ريان بن يوسف بن شومران بن حفص بن الحسن بن محمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان*" (*الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس*، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص. 265). ونقل ابن القاضي، في جذوة *الاقتباس* (ص. 494)، وابن عيشون الشراط في *الروض العطر* (ص. 58) السلسلة نفسها في كتابيهما، لكنهما كتبا سومران بالسين بدل شومران بالشين.

وراجع أيضا : القادري محمد بن الطيب، *الإكليل والتاج* ... مصدر سابق، ص. 464.

– الناصري أحمد، *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج.2، ص. 206.

[38] - الساحلي محمد، *بغية السالك*... مصدر سابق، ص. 551.

– ابن قنفد القسمطيني، *أنس الفقير* ... مصدر سابق ، ص. 12.

– القادري محمد بن الطيب ، *الإكليل والتاج* ... مصدر سابق، ص.464

– ابن إبراهيم العباس المراكشي، *الإعلام بمن حل مراكش* ... مصدر سابق، ج.9، ص. 49.

[39] - ابن الزيات التادلي، *التشوف* ... مصدر سابق، ص. 168-170.

وقال في *التشوف* إنه توفي في أواخر شعبان 559هـ (ص. 168)، وكذلك في *الأنيس المطرب* (ص 265)، *والاستقصا* (ج.2، ص. 206). وذكر ابن إبراهيم المراكشي أنه توفي في آخر يوم من شعبان سنة 559هـ، وقيل سنة 560هـ، (*الإعلام*، ج. 9، ص. 53).

[40] - ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب بروض القرطاس* ... مصدر سابق، ص 265.

[41] - ابن ابراهيم المراكشي، *الإعلام بمن حل مراكش*... مصدر سابق، ج.9، ص. 54.

"*وبنيت عليه قبة كان تاريخ بنائها واسم من بناها من أمراء بني مرين مكتوبا بنقش في رخامة على ضريحه، ثم أمر السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي عامله على فاس محمد بن محمد الصفار أن يهدمها وأن يبني عليه أخرى أكبر منها ففعل وبناها عليه وهي القائمة البناء الآن، وهي قبة عظيمة واسعة الفناء، حسنة الشكل والبناء، ليس بهذا الخارج قبة تماثلها في اتساعها وحسن تنميقها، وضريحه بها ظاهر معلوم يزار*" (المصدر نفسه).

وقد نشأ في بيت له صلات قوية بالعلم والتصوف. فعلاوة على عمه أبي محمد صالح، "*... كان والده من كبار الصالحين، وكذلك أخوه*".[42] ومن ثم، حرص الشيخ الوالد على أن يقفو ابنه نهج أهله. وفي هذا الصدد بالذات، حدثنا أبو الحسن علي بن حرزهم عن نفسه قال : "*أوصاني أبي أن أقبّل يد أبي الفضل ابن النحوي متى لقيته ولو لقيته في اليوم مائة مرة، فبعثني يوما إليه ليدعو لي، فأتيته وقت غروب الشمس فوجدته يتوضأ، فلما فرغ من وضوئه نظرت إلى الإناء فكأنه لم ينقص منه شيء، فلما غربت الشمس أذن وأقام وصلى وصليت معه. فلما أراد أن يكبر نظرت إلى ثوبه الذي على كتفه يتحرك حركة شديدة يسمع صوته من شدة الخوف ثم قرأ قراءة مبينة يسردها حرفا حرفا. فلما سلم دعا لي، فانصرفت إلى أبي فحدثته وقلت له : رأيته صلى عند غروب الشمس قبل الوقت الذي يصلي فيه أهل البلد. فأهوى إليَّ بيده ولطمني، وقال لي : أتتكلم في ولي من أولياء الله تعالى، وهل وقت المغرب إلا ذلك الوقت الذي صلى فيه أبو الفضل، وإنما الناس ابتدعوا في التأخير عن ذلك الوقت*".[43]

لقد استفاد الصبي من بركة هذا الرجل[44]، كما استفاد من بركة والده وعمه وعلومهما، ومن بركات غيرهم من رجال العلم والتصوف في زمانه وعلومهم. نقول ذلك لأن أبا الحسن علي بن حرزهم كان "*له أشياخ عدة*"[45] : منهم من أخذ عنه

---

42 - ابن قنفذ، *أنس الفقير ...* مصدر سابق، ص. 12. وراجع : ابن الزيات التادلي، *التشوف...* مصدر سابق، ص. 98.

43 - المصدر نفسه، ص. 98.

44 - أضاف أبو الحسن في روايته السابقة قائلا : *ثم أمرني أبي أن أحكي له فعل أبي الفضل من أوله إلى آخره، ففعلت. فقال لأمي وكانت حاضرة : هذا صبي نرجو من الله تعالى أن ينفعنا به، فإنه وجد بركة أبي الفضل. ولقد رأيته حين دخل علي، وعليه نور، فعلمت أن الله قد أجاب فيه دعوة أبي الفضل*" (*التشوف*، ص. 98).

45 - راجع : الساحلي محمد، *بغية السالك...* مصدر سابق، ص. 553.
- ابن عيشون الشراط، *الروض العطر ...* مصدر سابق، ص. 66.
- ابن إبراهيم المراكشي، *الإعلام...* مصدر سابق، ج.9، ص. 52.

علم الظاهر فقط، كالقاضي أبي بكر بن العربي وهو عمدته فيه[46]، ومنهم من أخذ عنه على سبيل التبرك والاستفادة كالشيخ يوسف بن محمد بن يوسف التوزري الأصل المعروف بابن النحوي، والشيخ الفقيه العالم الولي الصالح سيدي محمد الخياط دفين حومة الدوح من طالعة فاس، والشيخ أبي بكر بن عثمان بن مالك، والشيخ إسماعيل ابن حرزهم الذي هو والده الحسي. ومنهم من أخذ عنه أخذ إرادة وتحكيم، وهو عمه الشيخ صالح ابن حرزهم، فهو شيخه الحقيقي الذي عليه اعتماده وإليه في طريق التربية والتهذيب استناده[47]، على نحو قول ابن عيشون الشراط : "*أخذ رضي الله عنه طريق القوم عن عمه الشيخ أبي محمد صالح بن حرزهم، وهو عن الشيخ القاضي وجيه الدين عمر السهروردي*".[48] وهذا يعني أن أبا الحسن بن حرزهم سهروردي في سنده الرسمي وفي طريقته، مثلما كان له سند في لبس الخرقة، مثل السهروردييين المشارقة.[49]

---

[46] - ابن عيشون الشراط، *الروض العطر...* مصدر سابق ، ص. 66.
القادري محمد بن الطيب، *الإكليل والتاج...* مصدر سابق، ص. 465.

[47] - ابن إبراهيم المراكشي، *الإعلام بمن حل مراكش...* مصدر سابق، ج.9، ص. 52.

[48] - *الروض العطر...* مصدر سابق، ص 69. وقال الساحلي في *بغية السالك* : *لكن اعتماده في طريق التربية والعلم على عمه أبي محمد صالح وشيخه أبي بن العربي* "(ص 553) وكتب في محل آخر : *إن أبا الحسن بن حرزهم صحب عمه أبا محمد بن حرزهم وشيخه أبا بكر بن العربي*" (ص. 518) .

[49] - نقل ابن عيشون الشراط في الروض العطر"... *ما يذكر كثيرا في التأليف من أن الشيخ علي بن حرزهم أخذ عن القاضي أبي بكر بن العربي عن الشيخ أبي حامد الغزالي عن إمام الحرمين عن أبي القاسم القشيري*" (ص.70). ثم علق قائلا اعتمادا على صاحب *النبذة المفيدة* إن ابن حرزهم إنما أخذ عن أبي بكر بن العربي العلم الظاهر، وقال إنه رأى بعضهم صرح بأن هذا السند في لبس الخرقة. ثم قال : "*وسمي سند التبرك، وهو لبس الخرقة تبركا*" (*الروض العطر*، ص.69-70). ونقل سليمان الحوات هذا السند نفسه عن الساحلي في *بغية السالك* (ص. 522-523) مع بعض الإضافات، فجاء كالتالي : " *القاضي أبو بكر ابن العربي من الشيخ أبي حامد الغزالي من إمام الحرمين عبد الملك الجويني، وهو عن أبي طالب المكي، [وهو من أبي عثمان المغربي وهو من أبي عمر الزجاجي]، وهو من الجنيد*" (*الروضة المقصودة*، ص. 67). وإذا كان سليمان الحوات لم يعلق على هذا السند، فإن بعضهم طعن فيه. وهكذا، كتب ابن إبراهيم المراكشي في *الإعلام* قائلا : " ... *وما يوجد عند غير واحد كابن الصباغ في حرز الأتقياء، والبوصيري في قصيدة له بائية في مدح الشيخ أبي مدين، وصاحب المنهاج الواضح، والشيخ أحمد بن يوسف الفاسي في بعض تأليفه، وكثير من أهل التصانيف والتقاييد، من أن صاحب الترجمة أخذ الطريقة*

وفيما يلي سند سيدي حرازم في الطريقة السهروردية :

شهاب الدين أبوحفص عمر السهروردي ← **ضياء الدين أبوالنجيب عبدالقاهر بن عبدالله السهروردي**

أبو الحسن علي بن حرزهم ← **أبو محمد صالح بن حرزهم**

← ***وجيه الدين* عمر بن محمد بن عموية السهروردي**

عبدالله بن محمد بن عموية السهروردي

← **أبوعبد الله محمد بن عموية (عبد الله) السهروردي**

← **عموية (عبد الله) بن سعد السهروردي**

← **سعـــــد** ← **الحسين**

← **أبو العباس الدينوري** ← **محمد الجريري** ← **أبو القاسم الجنيد**

عن ابن العربي عن الغزالي عن إمام الحرمين عن أبي طالب المكي عن الجنيد، قال العارف الفاسي فيما وجد بخطه : هذا لا يصح، فإن أهل الظاهر لا يمتد منهم أهل الباطن، وكذلك لا يصح امتداد الغزالي في الباطن من أبي المعالي يعني إمام الحرمين وإن قرأ عليه علم الظاهر، وكذلك لا يصح أخذ أبي المعالي عن أبي طالب ولا أخذ أبي طالب عن الجنيد، فإن المعلوم خلاف ذلك، وإنما أخذ أبو طالب عن أبي سالم عن سهل عن الجنيد انتهى. وهو ظاهر إن أريد أخذ الإرادة والتحكيم كما هو مراد العارف، أما مطلق التبرك والانتفاع إلى استفادة علم الظاهر فلا مانع منه، بل هو حاصل على كل حال لصالح أهل الظاهر من هذا السند وعدم حصول الفتح للآخرين حين الشروع في أخذ العلم عنهم، لكن أخذ أبي المعالي عن أبي طالب وهو عن الجنيد يبطل من جهة عدم صحة النقل والتاريخ فهو غير صحيح" (ج.9، ص. 52-53).

هذا عن السند، أما طريقته فنجملها في العناصر الثلاثة الآتية :

الأول – **شدة التدين**: وذلك باتفاق كتب التراجم، على نحو قول ابن القاضي بأن هذا الرجل كان من أهل الدين والخير والفضل.[50] ومنطوق هذا الوصف، ولا شك، يتمثل في حرص أبي الحسن على أداء الفرائض الدينية والسنن، والزيادة في ذلك على سبيل النافلة، والإتيان بذلك كله على وجهه الأكمل. وقد كان هذا تدين سائر أهل الله في عصره، وفي مقدمتهم شيوخ الطائفة السهروردية، كما رأينا.

ثانيا – **الاهتمام البالغ بعلوم الدين**: وفي هذا الصدد ذكر صاحب *التشوف* أن أبا الحسن بن حرزهم : "*كان فقيها، حافظا للفقه ...*"[51]، وأن أصحابه كانوا يسمونه بالفقيه أبي الحسن.[52] بل جاء عند ابن قنفذ بأنه كان من كبار الفقهاء.[53]

وإلى جانب الفقه، كان أبو الحسن بن حرزهم عارفا بالحديث والتفسير والتصوف وعلم الكلام.[54] وكان في فقهه وعلومه معتنيا بالرواية، على نحو قول ابن الأبار : "*كان عالما فقيها معتنيا بالرواية*".[55] وقال التميمي، وهو ممن عاشره : "*أدركته واختلفت إليه، كان رحمه الله، معظما للعلم يوفيه حقه ودرجته [...] اجتمعت فيه خصال ما اجتمعت في غيره، الفقه في المسائل، والفقه في الحديث، ومعرفة*

---

[50] - قال ابن القاضي : "*كان سيدي حرازم خيرا ديِّنا فاضلا ورعا زاهدا متقشفا*" (جذوة الاقتباس، ص. 465).

[51] – ابن الزيات التادلي، *التشوف...* مصدر سابق، ص. 169. وحلاه الساحلي بقوله : "*كان عالما فقيها محدثا حافظا*" (*بغية السالك*، ص. 551). وراجع أيضا: ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب...* مصدر سابق، ص. 265.

[52] - ابن الزيات التادلي، *التشوف...* مصدر سابق، ص. 174.

[53] - ابن قنفذ، *أنس الفقير...* مصدر سابق، ص 12. وراجع أيضا : القادري محمد بن الطيب، *الإكليل...* مصدر سابق، ص. 464.

[54] - ابن القاضي أحمد، جذوة *الاقتباس...* مصدر سابق، ص. 464. وقد غيرنا كلمة التصريف بالتصوف لاستقامة المعنى بها.

[55] - *الإعلام*، ج. 9، ص. 55.

التفسير والتصوف. وأما الكلام على الرعاية وكلام المحاسبي، فلم يخلفه مثله في ذلك...".[56] كما أحكم أبو الحسن بن حرزهم كتاب *إحياء علوم الدين*" *وضبط مسائله، فكان يستحسنه ويثني عليه*".[57]

وهذا يعني أنه كان، كما وصفه ابن عيشون الشراط، "*علامة متبحرا*"[58] في العلوم الشرعية، على غرار شيوخه في الطريقة السهروردية. كما كان مثلهم "...*أميل للعلوم الباطنية*".[59] وقد عبر ابن الزيات في *التشوف* عن ذلك بقوله : "*كان فقيها حافظا للفقه، سالكا في التصوف*".[60] وركز ابن قنفذ على الأمر نفسه في *وفياته*، ووصف أبا الحسن بن حرزهم بالشيخ الفقيه الصالح.[61]

وإذ حصّل أبو الحسن بن حرزهم العلوم، الشرعية منها والباطنية، فقد انتصب لتعليمها، بهمة ونفس مبارك اقتداء بالسهروردیين طبعا، وفي مقدمتهم صاحب *عوارف المعارف*، أبو حفص شهاب الدين السهروردي نفسه، الذي أنشد مرة، وهو على كرسي المجلس :

لاتسْقِني وحدي فما عَوَّدْتني أني أشـحُّ بها على جُلاَّسي
أنت الكريم ولا يليق تَكَرُّما أن يعبر الندماءَ دورُ الكاس[62]

---

[56] - راجع : ابن عيشون الشراط، *الروض العطر...* مصدر سابق، ص. 58- 59. ومما رواه ابن قنفذ في حديثه عن أبي مدين الغوث دفين تلمسان بأن هذا الأخير لازم ابن حرزهم : "*وقرأ عليه رعاية المحاسبي وفهمها له*" (*أنس الفقير*، ص. 14).

[57] - الساحلي محمد، *بغية السالك...* مصدر سابق، ص. 552. وراجع : ابن عيشون الشراط، *الروض العطر...* مصدر سابق، ص. 65.

[58] - نفسه.

[59] - الساحلي محمد، *بغية السالك...* مصدر سابق، ص. 552.

[60] - نفسه، ص. 169.

[61] - ابن قنفذ أحمد القسنطيني، *كتاب الوفيات*، تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983، ص. 283.

[62] - ابن خلكان أحمد، *وفيات الأعيان...* مصدر سابق، ص. 446.

ندلي بهذه الشهادة لأن المصادر التي ترجمت لأبي الحسن بن حرزهم تقول إنه "*..كان يُقصد من البلدان للقراءة عليه*"[63]، وأن الناس كانوا يحضرون مجلسه.[64] وتفيد هذه الشهادة نفسها أن اجتماع الناس حول أبي الحسن بن حرزهم كان بقصد القراءة أو بقصد حضور المجلس، وبينما تُقرأ العلوم الدينية الشرعية في الاجتماع الأول، يخصص المجلس الثاني للوعظ والتذكير، وتلقين علوم الطريق، ولذلك سمي بمجلس المذكرين، كما سماه أحدهم بالحلقة[65]، وذلك على غرار السهروردبين في المشرق تماما.

وإذا قرأ أبو الحسن ابن حرزهم لتلاميذه بعض كتب علوم الاعتقاد مثل *الإرشاد* لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني (ت.478هـ/1085م)[66]، رغم ما للمالكية من إعراض عنه بسبب تحفظاته على منهجهم الفقهي[67]، فقد أولى كتب التصوف عناية أكبر، واهتم خصوصا *برعاية المحاسبي*[68]، وبكتاب *إحياء علوم الدين* للغزالي، رغم منع السلطة المرابطية تداوله، حتى لقد تعرض للحبس من

---

[63] - ابن القاضي أحمد، جذوة *الاقتباس*... مصدر سابق، ص. 464. ولذلك نعته الساحلي بـ "المدرس". راجع : *بغية السالك*... مصدر سابق، ص. 551. وعلاوة على التدريس في فاس، ذكر الساحلي أيضا أنه "*رحل إلى مراكش فدرس بها العلم ...*" نفسه، ص. 553.

[64] - ذكر ابن الزيات في *التشوف* صفة المجلس أكثر من مرة (ص. 170- 173- 174-197)، وربط في كلامه بين ذكر المجلس والمسجد أكثر من مرة كذلك (ص. 172-173- 174).

[65] - ابن الزيات التادلي، *التشوف*... مصدر سابق، ص. 173.

[66] - روى أبوعمرو عثمان ابن عبد الله السلالجي الأصولي، إمام أهل المغرب في علم الاعتقاد في زمانه، المتوفى بفاس عام 564هـ، فقال : "*وقع بيدي من علوم الاعتقاد التقريب والإرشاد فأعجباني وقال لي صاحبي : هذا الإرشاد هو المدخل إلى هذا العلم، ثم حملته إلى ابن حرزهم وابن الرمامة واستشرتهما في قراءته، فاستحسناه وأشارا علي بالنظر فيه. فقلت لابن حرزهم : أتأذن لي في قراءته عليك ؟ فقال لي : لا أجيده، فإن قنعت مني بتعليم ما أعلمه فانظره، فأخذته عليه، فكان يبصرني في مواضع منه، فما أكملته بالنظر عليه حتى استظهرته حفظا*" (*التشوف*، ص. 198- 199).

[67] - راجع تعليق أحمد التوفيق في : *التشوف*... مصدر سابق، هامش 349، ص. 179.

[68] - راجع : ابن القاضي، جذوة *الاقتباس*... مصدر سابق، ص. 464.

جراء مخالفته أمر السلطة.[69] كما لا نشك قط في اهتمام أبي الحسن بن حــرزهم *بعوارف المعارف* لأبــي حفص السهروردي، و*بآداب المريــدين* لأبــي النجيــب السهروردي، وبآثار السهرورديين الأوائل جميعا.

[69] - ابن الزيات التادلي، *التشوف...* مصدر سابق، ص. 171؛ بل يفهم من الأخبار الواردة في سيرة أبي الحسن بن حرزهم أنه كان من المنتقدين *للإحياء* في بداية الأمر. ومما يؤثر عنه قوله : " *اعتكفت على قراءة إحياء علوم الدين للغزالي في بيت مدة من عام. فجردت المسائل التي تنتقد عليه وعزمت على حرق الكتاب. فلما نمت رأيت قائلا يقول : جردوه واضربوه حد الفرية. فضُربت ثمانين سوطا. فلما استيقظت، جعلت أقلب ظهري فوجدت به ألما شديدا من ذلك الضرب. فتبت إلى الله تعالى مما اعتقدت، ثم بعد ذلك تأملت تلك المسائل فوجدتها موافقة للكتاب والسنة*" (*التشوف*، ص. 169، وراجع : *أنس الفقير*، ص 13).
"وقال السبكي في *طبقاته الكبرى* في ترجمة الشيخ أبي حامد الغزالي ما نصه : "*وذكر أن الشيخ علي بن حرزهم بكسر الحاء المهملة وسكون الراء وبعدها زاي وربما قيل ابن حرازهم لما وقف على الأحياء تأمل فيه ثم قال " هذا بدعة مخالفة للسنة، وكان شيخا مطاعا في بلاد المغرب، فأمر بإحضار كل ما فيها من نسخ الإحياء وطلب من السلطان أن يلزم الناس بذلك، فكتب إلى النواحي وشدد في ذلك وتوعد من أخفى شيئا منه، فأحضر السلطان ما عندهم, واجتمع الفقهاء ونظروا فيه، ثم أجمعوا على إحراقه يوم الجمعة، وكان اجتماعهم يوم الخميس، فلما كانت ليلة الجمعة رأى ابن حرزهم المذكور في المنام كأنه دخل باب الجامع الذي عادته أن يدخل منه، فرأى في ركن المسجد نورا، وإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما جلوس، والإمام أبو حامد الغزالي قائم وبيده الإحياء، فقال يا رسول الله، هذا خصمي، ثم جثا على ركبتيه وزحف عليهما إلى أن وصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فناوله كتاب الإحياء، وقال يا رسول الله، انظر فيه، فإن كان بدعة مخالفة لسنتك كما زعم تبت إلى الله تعالى، وإن كان شيــئا تستحسنه حصل لي من بركتك فأنصفني من خصمي. فنظر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورقة ورقة إلى آخره، ثم قال والله هذا شيء حسن، ثم ناوله أبا بكر فنظر فيه كذلك، ثم قال نعم والذي بعثك بالحق يا رسول الله إنه لحسن، ثم ناوله عمر فنظر فيه كذلك ثم قال كما قال أبو بكر، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بتجريد ابن حرزهم من ثيابه وضربه حد المفتري، فجرد وضرب، ثم شفع فيه أبو بكر بعد خمسة أسواط، وقال يا رسول الله إنما فعل هذا اجتهادا في سنتك وتعظيما، فغفر له أبو حامد عند ذلك، فلما استيقظ من منامه وأصبح، أعلم أصحابه بما جرى، ومكث قريبا من شهر متألما من الضرب، ثم سكن عنه الألم، ومكث إلى أن مات وأثر السياط على ظهره، وصار ينظر كتاب الأحياء ويعظمه*" (ابن ابراهيم المراكشي، *الإعلام*، ج.9، ص. 51).

والأهم من هذا، كان انتصاب أبي الحسن بن حرزهم لتعليم العلم محتسبا، بشهادة أبي مدين الغوث، ونصها قوله : *توجهت إلى فاس ولزمت جامعها وتعلمت الوضوء والصلاة وكنت أجلس إلى حلق الفقهاء والمذكرين فلا أثبت على شيء من كلامهم إلى أن جلست إلى شيخ ثبت كلامه في قلبي. فسألت من هو. فقيل لي : أبو الحسن بن حرزهم. فأخبرته أني لا أحفظ إلا ما سمعته منه خاصة. فقال لي : هؤلاء يتكلمون بأطراف ألسنتهم فلا يجاوز كلامهم الآذان. وقصدت الله بكلامي فيخرج من القلب ويدخل القلب*".[70] بل ثمة روايات تفيد أن أبا الحسن ابن حرزهم كان محبا للمتعلمين مهتما بهم، ويدعو إلى مساعدة من تبدو عليه الخصاصة من رواد مجالسه.[71] وثمة روايات أخرى تفيد أنه كان معظّما للعلم موفيا حقه، ويدعو إلى تقدير العلم وإنزال العلماء المكانة السامية.[72] وفي هذا الإطار بالذات يروى عنه أنه "*... قدم مراكش فاستدعاه بعض أمراء صنهاجة للقراءة عليه والأخذ عنه، فدخل عليه أبو الحسن، وهو على سريره فجلس أبو الحسن تحته. فقال له : أ هكذا كنت تفعل مع من كنت تتعلم منه ؟ قال له : نعم. فقال له أبو الحسن : انزل إلى مكاني وأكون أنا مكانك، وهكذا ينبغي أن يكون المتعلم مع المعلم. فأجابه الأمير إلى ذلك، فنزل الأمير عن سريره وجلس عليه أبو الحسن فلازمه وأخذه بسلوك طريق الآخرة*".[73]

---

[70] - ابن الزيات، *التشوف*... مصدر سابق، ص. 320. وراجع: الساحلي محمد، *بغية*... مصدر سابق، ص. 552.
[71] - ابن الزيات، *التشوف*... مصدر سابق، ص. 173-174.
[72] - ابن القاضي أحمد، جذوة الاقتباس... مصدر سابق، ص. 464.
[73] - ابن الزيات ، *التشوف*... مصدر سابق، ص.169؛ وفي الموضوع نفسه، ركز الشاعر الشهير الجراوي في رثائه لأبي الحسن على مناقبه العلمية فقال :

ألا من للـقياس على الأصول	وترتيب المقاصد والفصـول
ألا من احتـاج بالدليـل	من القرآن أو لفظ الرسـول
ومن ذا يبـتغي تأويل رؤيا	تحاماها أخو الذهن الصقيـل
ألا ياطالبين العلـم نوحـوا	فما لكمُ إليه مـن سبيـل
فعنصره أبو الحسن المعلّـى	تعذّر منـه تبريدُ الغليـل
أتت لوفـاته أرسال ربـي	بحظٍّ من كرامتـه جزيـل
فيالك من سـراج غيّبتْـه	عن الأبصار لمحةُ عزرائيـل

هذا عن الإقراء. وكان لابن حرزهم، كما قلنا، مجلس ثان هو مجلس المذكرين. وكانت مادته الأساسية هي الوعظ والتذكير، على غرار ما فعل السهرورديون في المشرق. وقد أولى هذا السهروردي المغربي في مجلس المذكرين عناية كبيرة للذكر، بل اشتهر بذلك كثيرا بين أهل الذكر، والناس جميعا، حتى أهل الفحش، الذين كانوا إذا رأوه يمسكون عن فحشهم ويتظاهرون بذكر الله. لكن أبا الحسن سيدي حرازم كان له في الذكر رأي آخر، وهو أن "*ذكر الله محروس إلا من أهل الذكر خاصة، وإذا تكلف الذكر غير أهله أتاهم الشيطان وحال بينهم وبين الذكر*".[74] كما اشتهر سيدي حرازم بدعوات خاصة سرت بين الصوفية سير النفس في الجسم، من قبيل : "*يا رب، أسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة*".[75]

ثالثا – **سلوك طريق الزهد:** وإلى جانب شدة التديّن والاهتمام البالغ بعلوم الدين تعلما وتعليما، اشتهر أبو الحسن بن حرزهم بالزهد. وكان طريق الزهد هو سبيل أهل التحقيق في زمانه في المغرب والمشرق[76]، سهروردين كانوا أم غير سهروردين[77]، ولم يكن يضاهي الاهتمام بالزهد عند ابن حرزهم سوى العناية بالعلوم، الظاهر منها والباطن، والعناية بأركان العبادة، المفروض منها والمسنون.

فمات بموته فهمُ المعاني — و آذنتِ الغوايةُ بالنزول
وهدَّ به من الإسلام ركنٌ — ثبات للعواصف و السيول
وبدرُ الدين بادَرَهُ أفولٌ — وليس بطالع بعدَ الأفول
حكى البصْري في ورعٍ وزهد — وفي الإخلاص و الصبر الجميل
مخافَتَه الرياءَ الشرٍّ يُبْدي — ويخفي الخيرحرصا في القبول
ولكن شره البادي صلاح — يلوح لكل ذي فهم نبيل

– ابن أبي زرع ، *الأنيس المطرب بروض القرطاس*... مصدر سابق، ص. 466.

[74] - ابن الزيات التادلي، *التشوف*... مصدر سابق، ص. 171.

[75] - راجع : ابن قنفذ، *أنس الفقير*... مصدر سابق، ص. 13.

[76] - ابن عيشون الشراط، *الروض العطر*... مصدر سابق، ص. 65.

[77] - راجع موقف أبي النجيب السهروردي من الزهد في، *آداب المريدين* ... مصدر سابق، ص. 76.

وقد انتبه جميع أهل السير إلى هذا النوع من العرفان في حياة سيدي حرازم، وكتبوا عنه. وهكذا ذكر ابن الزيات في *التشوف* أنه : "*كان فقيها، حافظا للفقه، زاهدا في الدنيا، سالكا سبيل التصوف*"[78]، وكتب ابن أبي زرع في *الأنيس المطرب* قائلا بأنه: "*كان فقيها حافظا زاهدا في الدنيا متصوفا*".[79] أما ابن الأبار فقد عبَّر عن الأمر نفسه بقوله : "*كان عالما فقيها معتنيا بالرواية، غلب عليه الزهد والورع والتصوف*".[80] بينما اجتهد صاحب *الإكليل والتاج* كثيرا، وكتب جملة قصيرة ومعبرة جمع فيها بين علم المترجم له وعرفانه وبين زهده فقال : ابن حرزهم "*ولي عارف متبحر، في غاية الزهد*".[81] أما التميمي، وكان ممن أدرك أبا الحسن سيدي حرازم وعاشره، فقد فصل القول في زهد هذا الرجل، وصرح بأنه لم ير "*... أزهد منه ... مع الورع، والزهد في الدنيا، والتخشن في الملبس*"، وأنه كان ممن قدر على الدنيا وتنزه عنها اختيارا.[82]

ويفهم من هذه السير نفسها أن أبا الحسن بن حرزهم بلغ في زهده مستوى التقشف[83]، وفي هذا الصدد بالذات أورد صاحب *التشوف* رواية تفيد أنه لم يجد مرة ما يشتري به كسوة لزوجته لما طلبتها منه لتحضر بها عرس أخيها.[84] ونقل ابن عيشون الشراط، من جهته، عمن عاشره، قوله إن أبا الحسن بن حرزهم كان "*خشن الملبس، ... يلبس في الصيف دراعة قطن مصبوغة وطاقية ومئزرا قصيرا على*

---

[78] - *التشوف...* مصدر سابق، ص. 169؛ وراجع : الساحلي محمد، *بغية السالك...* مصدر سابق، ص. 551؛ ابن قنفذ، *أنس الفقير...* مصدر سابق، ص. 12.

[79] - ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب...* مصدر سابق، ص. 265.

[80] - ابن إبراهيم المراكشي، *الإعلام بمن حل مراكش...* مصدر سابق، ج.9، ص. 55.

[81] - القادري محمد بن الطيب، *الإكليل والتاج...* مصدر سابق، ص. 464.

[82] - ابن عيشون الشراط، *الروض العطر...* مصدر سابق، ص. 59؛ وراجع أيضا : ابن القاضي أحمد، *جذوة الاقتباس...* مصدر سابق، ص. 464.

[83] - قال ابن القاضي : "*كان سيدي حرازم خيرا دينا فاضلا ورعا زاهدا متقشفا*" (*جذوة الاقتباس*، ص. 465).

[84] - *التشوف...* ص. 173.

رأسه. ويزيد في الشتاء دراعة ثانية من قطن. وكنت أدخل إليه في بيته الذي كان يستريح فيه، ويدخل إليه فيه الطلبة ومن له حاجة في سؤال، وكان في وسط البيت حصير لا غير، وفي ناحية منه سجادة وعليها حصير حلفا، وفوق الحصير عباءة خشنة جدا كان ينام فيها...".[85]

كما كان الرجل في زهده أو قل في تقشفه من أهل الورع. ومن الروايات الشهيرة في هذا الباب ما حدثنا به غير واحد، أنه *"...لما توفي والد أبي الحسن عزم على قسمة ما تركه مع أخيه أبي القاسم. فلما قام إلى ورده اشتغل سره بذلك. فلما أصبح بعث إلى أخيه. وقال له : أحضر الشهود لأتصدق عليك بميراثي فأبى عليه، فقال له : إن لم تفعل تصدقت بحظي على الجذماء، فلما رآه عازما على ذلك أتاه بالشهود فتصدق عليه به وقبل منه أبو القاسم الصدقة".*[86]

وكان هذا نهجه مع أتباعه، ولو كانوا من الأمراء، يأخذهم بسلوك طريق الآخرة، ويأمرهم بالورع، ويضيق عليهم في المكسب، حتى لا تتسع حالتهم إلا لخبز الشعير.[87] وفي هذا الصدد يروى أن أميرا من أمراء صنهاجة *"... لازم أبا الحسن، ومازال يأخذه بسلوك الطريق والتضييق حتى لم يجد الأمير ما يقتات به إلا ما يدفع إليه التجار عن طيب نفس، وبلغ الأمير من بركته النهاية من مقام الورع، وهذا من بركته رضي الله عنه. وكان كثيرا ما ينشد :*

أوَ الله كَمْ هَذِي المعاصي إلى متى — و أرْياحُ أثقال الصِّبا عَنك راكدهْ
إلاهي رجائي منك غُفْران زَلَّتي — وَإصْلاحُ حالاتي التي هي فاسدةْ"[88]

[85] - *الروض العطر* ... مصدر سابق، ص. 59-60. هذا إلى جانب حسن الخلق، وسلامة الصدر، وطلاقة الوجه، وإجابة الداعي (المصدر نفسه، ص. 59).

[86] - ابن الزيات التادلي، *التشوف*... مصدر سابق، ص. 170؛ وراجع : الساحلي محمد، *بغية السالك*... مصدر سابق، ص. 552.

[87] - راجع : ابن الزيات التادلي، *التشوف*... مصدر سابق، ص. 169؛ ابن إبراهيم المراكشي، *الإعلام*... مصدر سابق، ج.9، ص. 50.

[88] - ابن قنفذ القسنطيني، *أنس الفقير*... مصدر سابق، ص.21؛ مع الإشارة إلى أنه ورد في عجز البيت الأول كلمة (عني) بدل عنك. وإذا قلنا عني كسر الوزن، وإذا قلنا عنك استقام.

وبفضل هذا وذاك احترمه العامة والخاصة[89]، و" *اجتمعت القلوب على محبته*"[90]، ونسبت إليه كرامات وبركات[91]، بل لم يجد أبو الحسن ابن حرزهم نفســه

[89] - من الروايات الشهيرة في هذا الباب أنه : "*...لما أشخص أبو الحكم بن بَرَّجان من قرطبة إلى حضرة مراكش سئل عن مسائل عيبت عليه، فأخرجها على ما تحتمل من التأويل، فانفصل عما ألزمه من النقد، وقال أبو الحكم : والله لا عشت ولا عاش الذي أشخصني بعد موتي، يعني السلطان. فمات أبو الحكم، فأمر السلطان أن يطرح على المزبلة ولا يصلى عليه، وقلد فيه من تكلم فيه من الفقهاء، فدخل على ابن حرزهم رجل أسود كان يخدمه ويحضر مجلسه، فأخبر أبا الحسن بما أمر به السلطان في شأن أبي الحكم. فقال له أبو الحسن : إن كنت تبيع نفسك من الله فافعل ما أقول لك. فقال له : مرني بما شئت أفعله. فقال له : تنادي في أسواق مراكش وطرقها : يقول لكم ابن حرزهم : احضروا جنازة الشيخ الفاضل الفقيه الزاهد أبي الحكم بن برجان، ومن قدر على حضورها ولم يحضر فعليه لعنة الله، ففعل ما أمره به. فبلغ ذلك السلطان. فقال : من عرف فضله ولم يحضر جنازته فعليه لعنة الله*" (*التشوف*، ص.170) وابن برجان مدفون بمدينة مراكش برحبة الحنطة، وهو الذي تسميه العامة بها سيدي بوالرجا (جذوة *الاقتباس*، ص. 465).

[90] - ابن عيشون الشراط، *الروض العطر*... مصدر سابق، ص. 59.

[91] - راجع مثلا: ابن الزيات التادلي، *التشوف*... مصدر سابق، ص. 171.
ابن عيشون الشراط، *الروض العطر*... مصدر سابق، ص. 59.
وقد أبرز المدرع في *منظومته* بعض هذه الخصال، فقال :

والعارف الشيخ أبوالحسن علي — الكـــــامل ابن حرزهمْ بدرٌ جلي
له المقامُ الراســـخُ المنيـــفُ — والسمتُ والهيبـــةُ و التصريـــفُ

(ابن إبراهيم المراكشي، *الإعلام*، ج.9، ص. 55).
وكان للناس فيه اعتقاد عظيم. وفي هذا الصدد يؤثر عن قاضي فاس ومفتيها زمن الدلائيين الشيخ محمد بن سودة المري (ت.1076هـ/1665م)، وهو دفين ضريح أبي الحسن ابن حرزهم، أنه أوصى بأبيات تكتب على روضة، هذا الولي، وهي :

يا سالك المنهاج بالله العـــــلي — قف ساعة واغنم زيارة ذا الولي
واطلب أخِي رَحَمَـــاتِ ربِّك دائما — لمحمدٍ نجْل ابن سودة واســـأل
واختم دعاءَك بالصلاة و سلِّمَــنْ — خَتْما على خيــر الأنام المرْسَـــل

(*الروضة*، ص 1910).
وكتب جميع من ترجم له أن ضريحه مبارك ونافع لقضاء الأغراض. وهكذا ذكر في *أنس الفقير* أن للوقوف على قبره بركات "(*أنس الفقير*، ص. 14)، وقال القادري : "*للوقوف على قبره بركات*". (*الإكليل*، ص.465). وقال ابن إبراهيم المراكشي : "*وضريحه يزار، وهو مجرب البركة معروف باستجابة الدعاء وقضاء الحاجات*" (*الإعلام*،ج.9، ص. 54).

غضاضة في التعبير عن شأنه العالي في العلم الظاهر[92]، ومقامه السامي في طريق القوم[93]، كما لم ير مانعا من الإفصاح عن أحواله الخارقة للعادة.[94]

---

[92] - حكى ابن الزيات في *التشوف*: "*أن رجلا جاء إلى أبي الحسن ابن حرزهم فقال له : رأيت في النوم شمعتين إحداهما بعدوة الأندلس والأخرى بعدوة القرويين. فقال له أبو الحسن : وكانت التي بعدوة الأندلس أكثر ضوءا، فقال له : نعم. فقال له أبوالحسن : هذه الرؤيا مفسرة : أبوخزر هو الشمعة التي كانت بعدوة الأندلس وأنا التي رأيت بعدوة القرويين، وقلّ ضوؤها لما أنا عليه من كثرة المزاح مع الناس* " (ص. 178).

[93] - حكى ابن الزيات في *التشوف* أن الله أكرم أبا الحسن بن حرزهم بكرامة رؤية الرسول الكريم في النوم (ص.173)، وبرؤيته سبحانه وتعالى في النوم كذلك (ص.171). كما كانت له كرامات أخرى مشهورة، منها تنبؤه بوفاته، حسب قول ابن قنفذ، وقد روى بنفسه نصها فقال : "*أنه كان لابد له من الحمام في كل يوم، فلما كان اليوم الذي توفي فيه قال لخدمة الحمام : اليوم بقي لكم لتستريحوا مني، فلما خرج من الحمام دخل منزله واستلقى على ظهره فجاء بعض تلامذته ليوقظه فوجده ميتا* " (*أنس الفقير*، ص. 13).

[94] - ومما يؤثر عنه : "*أنه دعا لبعض أصحابه بالعفو والعافية، ثم قال : إن رب العزة أمنني، إني رأيته في النوم فقال لي ما حاجتك ؟ فقلت يا رب العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، فقال قد فعلت، ثم قال : فما أبالي لشيء يتقى، فإن رب العزة قد أمنني، ولذلك دعوت لك بهذا الدعاء*" (الساحلي، بغية، ص ص. 552-553). ومما يتصل بهذا الموضوع ما رواه ابن قنفذ، نقلا عن أحدهم قال : إن الشيخ أبا الحسن علي بن حرزهم سجنه السلطان بمراكش فقال لتلامذته : "*لا ألبث في السجن. فقالوا له : سبحان الله، اسكت، وهل سجنت إلا على هذه الأحوال*" (*أنس الفقير*، ص. 25).

وقال ابن إبراهيم المراكشي في *الإعلام* (ج. 9، ص. 54) : ومما وجدته منسوبا له رضي الله عنه،

و إذا أصابتك الشدائد لذّ بنــــا ... نحن الكرام وليس يَشْقى ضيفُـــا
و الجأ إلينا وانزلــنّ برَبعنـــا ... إنا أنـاس لايُـــــضام نزيلُنـــا
إنْ جاءنا الملهوفُ يشكو ما به ... يبشرْ بأن يحظى ســــريعا بالمنى
فإذا دهتْـك شــدائد ونكائـــــبٌ ... فاهرب إلينا و اقصــدَنَّ جنابَنــا
وإذا أردتَ عنــايــة أزليـــــة ... فتعَزَّزنْ بالله ثمَّ بعـــــــزنا
إن لم تكـن منا فحُبـُّك نافــع ... رُزق الســعادة مَنْ يفوز بحــبنا
فاطلُبْ وســلْ عما تريدُ ببابنــا ... تجدِ الأماني والمواهـــبَ عندنا
نُعْطي ونمنعُ إنْ أردْنا مَن نشــا ... أوَ ما تــرى أن الإلــهَ أمــدَّنــا
إن غاب عنكمْ طورُنا تحت الثرى ... ما غاب عنكم في الحوادث سرُنا
عــار علينا أن نُخَيِّبَ قاصــــدا ... لجنابــنا ، ما الفـضل إلا فضلنا
فأنا ابن حِرْزُهُمُ بفاسٍ شهرتــي ... قطب المغارب رابح مــنْ زارنــا
كن خالصا متمسكا بحبالنـــــــا ... نحن الغيوث و ليس يُهزَم جندنــا
واشدُدْ يديْك على زيارة قبرنــا ... متــواضعا متخشعــــا بمقامنــا
واخضع لنا واحفظ عهود ودادنا ... و إذا أصابتــك الشدائد لذّ بنــــا

4 – سيدي حرازم سهروردي وملامتي :[95]

كان سيدي حرازم سهرورديا في سنده وفي تصوفه. لكن اللافت للانتباه أن كُتاب السير صنفوه أيضا ضمن أهل الملامة.[96] وهذا أمر له خطورته بحكم انفراده بهذا الأمر عن سائر شيوخه في الطريقة. وهكذا كتب ابن الزيات التادلي بأنه "... *كان فقيها حافظا للفقه زاهدا في الدنيا، سالكا في التصوف سبيل أهل الملامتية*"[97]، وكرر اللاحقون نفس الكلام مع بعض الإضافات. وهكذا كتب ابن عيشون بأنه كان "*خيرا فاضلا دينا ورعا زاهدا متقشفا سالكا لطريق الملامتية، فكان أهل البلد ينكرون عليه بعض أحواله. ولكن لصدقه كانت القلوب مائلة إليه*".[98] وقال محمد بن جعفر الكتاني إنه "*كان ينحو طريق الملامتية ولم تكن تعرف إذ ذاك بالمغرب، فكان أهل البلد ينكرون عليه بعض أحواله، ولكن لصدقه كانت القلوب مائلة إليه*".[99]

ومعلوم أن حال الملامتي حال شريف ومقامه مقام عزيز عند شيوخ السهرورديين[100]، وإن كانوا يجعلون مرتبة الصوفي أعلى من مرتبته.[101] ومن ثم، لم يجد أبو الحسن بن حرزهم حرجا في نحو منحى الملامة، وكأنه وجد في موقف

---

[95] - قال أبو النجيب السهروردي : "*الصوفي غير الملامتي، فإن الملامتي هو الذي لا يظهر خيرا ولا يضمر شرا، والصوفي هو الذي لا يشتغل بالخلق ولا يلتفت إلى قبولهم ولا إلى ردهم*" *آداب المريدين*، ص. 23.

[96] - تحدث أبو حفص عمر السهروردي عن هذا التمييز بين الملامتية والصوفية بتفصيل، وجعل الملامتي أقل مرتبة من الصوفي. راجع : *عوارف المعارف*... مصدر سابق، الباب الثامن، ص.225-230.

[97] - *التشوف*... مصدر سابق، ص. 169. أما الساحلي فكتب ما يلي : "*كان عالما فقيها محدثا حافظا مدرسا زاهدا في الدنيا سالكا في طريق القوم سبيل أهل التحقيق*" *بغية السالك*، ص. 551.

[98] - ابن عيشون الشراط، *الروض العطر*... مصدر سابق، ص. 58.

[99] - *سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس*... مصدر سابق، ج.3، ص. 71. وراجع أيضا : ابن إبراهيم العباس المراكشي، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، ج.9، ص. 49.

[100] - *عوارف المعارف*... مصدر سابق ، ص. 231.

[101] - راجع التفاصيل في المصدر نفسه، الباب رقم 8، والباب رقم 9.

السهروردبين المتسم بالاعتدال من الملامتي مخرجا لنوازع كامنة في باطنــه. وإذا كنا نجهل الدافع وراء هذا المنحى، فالأكيد أنه لم يعتمد الملامتية أسلوبا في التربية. ويدعم هذا القول أن الملامة لم تظهر على أحد من أتباعه قط، وفي مقدمتهم أبومدين الغوث دفين العباد بحوز تلمسان، وأبو عبدا لله التاودي ابن سودة دفــين فــاس.[102] وهذا يعني أن ملامتية سيدي حرازم لم تكن رسمية، ولعلها كانت متعمــدة لتفــادي كثرة الاجتماعات حوله في رباطه وإبعاد الناس من حوله.

[102] - قال ابن عيشون : "*أخذ عنه ناس هذا الطريق (التصوف) ففتح لهم، من جملتهم الشيخ أبومدين (شعيب بن الحسين الأنصاري)، ... سلك على يديه مع أبي عبد الله التاودي، فنجبا ونفذا وكانا أخوين في طريق شيخهما*" *الروض*، ص. 66؛ وراجع : *الروضة*، ص. 675. ومما رواه صاحب الروضة عن أبي عبد الله محمد بن يعلى التاودي المدعو الخياط دفين فاس (ت. 580هـ). قوله : "*أخذ عن شيخه أبي الحسن بن حرزهم، فنفذ وقطع مقامات أبي يزيد البسطامي كلها في أربعين يوما*" (*الروضة*، ص. 603). وروى القادري على لسان أبي مدين قوله : "*كنت كلما سمعت من الشيخ أبي الحسن يعلق بقلبي فأنتفع به، وما أسمعه من غيره لا يعلق بقلبي، فذكرت ذلك له فقال : إن الكلام إذا خرج عن صدق من القلب، صادف القلب فانتفع به. قال : ولازمته فانتفعت به*" (*الإكليل*، ص. 465)، واعتبره صاحب *الإعلام* حسنة من حسنات ابن حرزهم (ج.9، ص. 49).
وممن أخذ أيضا عنه الشيخ أبو يعزى (*الإعلام*، ج.9، ص. 49)، كما صحبه أيضا وحضر مجلسه أبو الحسن علي السكاك المعروف بالولي، وكان خديما له (*التشوف*، ص. 173)، والشيخ أبو محمد عبد الحميد بن صالح الهسكوري نزيل فاس (*التشوف*، ص. 196-197)، والشيخ أبو محمد يسكر بن موسى الجرواي ثم الغــفجومي من بلد تادلا، دفين فــاس (ت. 598هـ) (*نفسه*، ص. 338). كما أدركه وخدمه الشيخ أبو علي حسين بن عبد الله الأندلسي المعروف بابــن يابو من أهل أغمات وريكة ودفينها (ت.604هـ) (*نفسه*، ص. 392)، وأدركه وحضر مجلسه الشيخ أبو محمد عبد الله ابن عثمان الصنهاجي المعروف بالزرهوني، دفين مراكش (ت. 612هـ)، (*نفسه*، ص. 102-169-197-424)، كما أشار صاحب *التشوف* بشكل عرضي إلى غير هؤلاء ممن حضروا مجلس ابن حرزهم في فــاس، باعتبارهم من رواة أخباره، دون أن يسمي بعضهــم (ص. 170-173-176). وممن أخذ أيضا عنه الشيخ أبو يعزى، والشيخ محمد العنابي والشيخ أحمد الفاسي والشيخ يسكر بن موسى الجورائي (*الإعلام*، ج.9، ص. 49) وخديمه المعروف بأبي قرن (*الأنيس المطرب*، ص. 265)، وكانوا جميعا من العلماء الزهاد، بل منهم من كان من كبار أقرانه في زمانه.

نقول هذا الكلام لأن القلوب كانت مائلة إليه كثيرا، في وقت كانت السلطة الموحدية التي قامت في المغرب خلفا لدولة المرابطين تتوجس خيفة ممن كانت القلوب إليه تميل، سيما من كان منهم من أهل التصوف .

وبناء على ما سبق، يمكن تسجيل ملاحظتين أساسيتين :

الأولى : اهتمام سير الصالحين كثيرا بالملامة في سلوك سيدي احرازم، وهو الأمر الذي امتد إلى الكتابات الحديثة، بينما غاب الاهتمام بالتصوف السهروردي في تراجمه، وهو الأمر الذي انعكس بوضوح في الكتابات الحديثة كذلك.

الثانية : إن حضور السهروردية في تصوف سيدي احرازم أمر أكيد. ومن ثمة لاشك أن استحضار الحديث عنها في بدايات التصوف المغربي ضروري، بل إن الأمر يستدعي إعادة النظر في ما يعرف "بهيمنة" تصوف الغزالي في تلك البدايات، ويستدعي، من ثمة، البحث عن تيارات أخرى غابت أو غُيّبت ....

المصادر والمراجع

- **ابن أبي زرع الفاسي**، *الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس*، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.
- **ابن إبراهيم العباس المراكشي التعارجي**، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، ج .9، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1980.
- **ابن خلكان شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر**، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، المجلد 3، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1970.
- **ابن الزيات يوسف التادلي**، *التشوف إلى رجال التصوف*، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1984.
- **ابن عيشون الشراط**، *الروض العطر بأخبار الصالحين من أهل فاس*، دراسة وتحقيق زهراء النظام، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1997.
- **ابن القاضي أحمد المكناسي**، *جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس*، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973.
- **ابن قنفذ أحمد القسنطيني**، *أنس الفقير وعز الحقير*، تحقيق أدولف فور ومحمد الفاسي، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965.
- **ابن قنفذ أحمد القسنطيني**، *كتاب الوفيات*، تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983.

- **ابن العماد عبدالحي الحنبلي**، *شذرات الذهب في أخبار خير نسب*، ج. 3، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، دون تاريخ.

- **الحموي ياقوت**، معجم *البلدان*، المجلد الثالث، مادة سهرورد، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1984.

- **الحوات سليمان**، *الروضة المقصودة والحلل الممدودة في مآثر بني سودة*، دراسة وتحقيق عبدالعزيز تيلاني، مطبوعات مؤسسة أحمد بن سودة الثقافية، فاس، 1994.

- **الزركلي خير الدين**، *الإعلام*، مجلد 4 و5، دار العلم للملايين، بيروت، 1986.

- **الساحلي محمد**، *بغية السالك في أشرف المسالك*، تحقيق عبد الرحيم العلمي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 2003.

- **السهروردي ضياء الدين أبو النجيب عبد القاهر**، *آداب المريدين*، تحقيق محمد فهيم شلتوت، نشر دار الوطن العربي، القاهرة .

- **السهروردي شهاب الدين أبو حفص عمر**، *عوارف المعارف*، تحقيق ابن الشريف محمود وعبد الحليم محمود، مطبعة السعادة.

- **العياشي أبو سالم**، *الرحلة العياشية ماء الموائد*، طبعة مصورة بالأوفسيط، ج. 2، الرباط، 1977.

- **القادري محمد بن الطيب**، *نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني*، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، ج. 3، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1986.

- **القادري محمد بن الطيب**، *الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج*، تحقيق مارية دادي، دبلوم الدراسات العليا في التاريخ مرقونة، 90-1991، كلية الآداب بالرباط.

- **الكتاني محمد بن جعفر**، *سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس*، ج.3، طبعة حجرية، بفاس، 1900.

- **كحالة محمد رضا**، معجم *المؤلفين*، ج. 5-7، مكتبة المثنى، ودار إحياء التراث العربي، بيروت.

- **الناصري أحمد**، *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، ج.2، دار الكتاب، البيضاء، 1954.

- **النبهاني يوسف بن إسماعيل**، جامع *كرامات الأولياء*، ج. 2، تحقيق ومراجعة إبراهيم عطوة عوض، المكتبة الشعبية، بيروت، 1983.